الشيخ مُحَمَّد إدريس الكاندهلوي وشعره في الرثاء

د. فخر الزمان*

د. نجمة ناهيد**

Abstract :

There is a long list of men of letters in the Subcontinent who expressed their feelings and emotions in the Arabic language by writing books on different topics in Arabic. Muhammad Idrees Kandhalvi was one of them.He made great literary contributions by incorporating Arabic language in his works including multiple genres of literature like Hamd, Naat and Elegy (Marṯīa). This article predominantly delivers contributions of Muhammad Idrees Kandhalvi a renowned personage of the Subcontinent, his life and services particularly Elegy writing. He wrote elegy about his friends and teachers and incorporated verses and hadith. He achieved excellence in elegy writing and was never considered a non-Arab writer.

Keywords: Holy Quran, Saharanpur, Dewband, Ashraf Ali Thanvi, Elegy Writing, Arabic Poetry, Sub Continents.

* أخصائي التخصص لجنة الاختبارات البنجاب، لاهور

** نائب رئيس الكلية الحكومية لتربية المعلمين تله جنج، جكوال

إنّ شبه القارة الهندية والباكستانية من البلاد السعيدة التي هبّت عليها نفحة من نفحات الإسلام منذ القرن الأوّل الهجري، فجاؤا الدعاة والغزاة والفاتحين من العلماء المسلمين في هذه المنطقة الأرضية. وكان العرب يعرفون أحوال شبه القارة الهندية وأهلها كما يسافرون إليها للتجارة قبل الإسلام. وقد وصلت إلنا آثار صلاتهم وروابطهم مع الهنود كما أشار أبو طالب إليها في شعره:

بني أمةٍ محبوبةٍ هندوكية بني جمع عبيد قيس بن عاقل[1]

وكانوا يسمون العرب بناتهم بالأسماء الهندية ويحبون العرب باسم الهندة حباً شديداً[2] وكذا نجد ذكر الهند في الأحاديث النبوية[3] ففتح مُحَمَّد بن القاسم الثقفي الهند في سنة 92هـ في عهد الوليد بن عبدالملك.[4]

واعتنق سكان الهند الإسلام على نطاق واسع ورغبوا في تعلم لغة الإسلام. اللغة العربية. رغبة تامة حتى برزوا فيهم كثير من العلماء والشعراء والأدباء الذين اختاروا اللغة العربية لإظهار أحاسيسهم ومنهم الشيخ مُحَمَّد إدريس الكاندهلوي.

ولادته:

ولد الشيخ مُحَمَّد إدريس بن الحافظ مُحَمَّد إسماعيل الكاندهلوي، في بلدة كاندهلة بالهند سنة 1318هـ.[5]

تربيته:

اخذ تعليمه الإبتدائي في قريته، وأتم حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه التاسعة من عمرة، ثم رحل إلى كل من مدرسة مظاهر العلوم سهارنبور وجامعة دار العلوم الإسلامية ديو بند وتلقى العلوم من خيرة مشايخها. كان عالماً بارزاً ومحدثاً بارعاً. ترك مجموعة من الكتب النافعة في العلوم المختلفة.

أساتذته:

حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ خليل أحمد السهارنبوري، والعلامة أنور شاه الكشميري، والمحقق الكبير شبير أحمد العثماني، والمفتي عزيز الرحمن وغيرهم من العلماء الكبار.

تدريسه:

عين مدرساً بالمدرسة الأمينية بدهلي ودار العلوم ديو بند. ودرّس فيها تسع سنوات، انتقل بعدها إلى حيدر آباد الدكن وألف كتابه المشهور (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح) وأخيراً رجع إلى دار العلوم ديوبند شيخاً للحديث، ومكث بها عشر سنوات، هاجر بعدها إلى باكستان سنة 1368هـ شيخاً للحديث بالجامعة العباسية

بمدينة بهاولبور، ثم انتقل إلى الجامعة الأشرفية بلاهور وللم يزل يدرس الحديث والتفسير والفقه مدة لحويلة إلى أن توفي في رجب 1394هـ/ 1974م.(6)

مؤلفاته:

وبجوار علمه الغزير في جميع العلوم والمعارف أنشأ في العربية عددا من القصائد الجميلة التي بطغى عليها الأسلوب العلمي.

مؤلفات الشيخ في التفسير:

1- تعليقات على تفسير البيضاوي.
2- مقدمة التفسير.
3- تفسير معارف القرآن.
4- دلائل الفرقان على مذهب النعمان.
5- اعجاز القرآن.
6- أحكام القرآن.(7)

مؤلفات الشيخ في علم الحديث وعلومه:

1- مقدمة البخاري.
2- تحفة القاري بحل مشكلات البخاري.
3- تحفة المسلم بمقدمة صحيح المسلم.
4- تحفة الإخوان بشرح حديث شعب الإيمان.
5- الباقيات الصالحات في شرح حديث "إنما الأعمال بالنيات".
6- منحة المغيث شرح ألفية العراقي.
7- مقدمة الحديث.
8- التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح.(8)

مؤلفات في السيرة والتاريخ:

1- سيرة المصطفى ﷺ.
2- الخلافة الراشدة.(9)

مؤلفات في السيرة والتاريخ:

1- عقائد الإسلام.

2- أصول الإسلام.

3- علم الكلام.

4- الدعوة إلى الإسلام.

5- إثبات صانع العلم.

6- حدوث المادّة والروح.

7- أحسن الحديث.

8- مسك الختام.

9- الإسلام والنصرانية.

10-كلمة الله في حياة روح الله.

11-القول المحكم.

12-لطائف المحكم في أسرار نزول عيسى بن مريم.

13-الدين القيم.

14-أحسن البيان في مسئلة الكفر والإيمان.

15-نهاية الإدراك في حقيقة التوحيد والإشراك.

16-فتح الغفور شرح منظور القبور.

17-الأسس الخلافية بين الإسلام والقاديانية.

18-سلك الدرر شرح تائية القضاء والقدر.

19-الكلام الموثوق في تحقيق أن كلام الله غير مخلوق.[10]

شعره وقصائده:

1- لامية المعراج.

2- رائية الحمد والثناء والمناجاة.

3- تشطير لامية امرئ القيس.

4- قصيدة لامية في رفع اليدين.

5- قصيدة في إبطال التثليث.

6- قصيدة في شأن صحيح البخاري.

7- في رثاء الشيخ مُحَمَّد أنور شاه الكشميري.

8- في رثاء الشيخ مُحَمَّد خليل الرحمن الأنصاري.

9- في رثاء الشيخ شبير أحمد العثماني.

10-في رثاء الشيخ عزيز الرحمن.

11-تائية القضاء والقدر.

12-موت العالم موت العالم.

13-إبطال المذهب الجبرية.

14-بيان الفرق بين القضاء والمقتضى. [11]

شعره في الرثاء:

كان الشيخ مُحَمَّد إدريس الكاندهلوي شاعراً قادراً، تدور موضوعات شعره بالعربية حول الحمد والمديح النبوي والرثاء والذب عن الإسلام والردّ على الفرق الباطلة. ويحتوي كتابه "سلك الدرر" شرح تائية القضاء والقدر على أكثر أشعاره، وهذا الكتاب في علم الكلام ألفه رداً على سؤال أحد الملاحدة في مسألة القضاء والقدر، في عصر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وقام بالرد على هذا الملحد كثير من علماء مصر والشام ونظموا فيه قصائد بديعة.

يقول الشيخ مُحَمَّد إدريس: بينما كنت في خلوتي إذ تذكرت تلك القصائد لعلماء مصر والشام فأردت أن أقول مثلما قالوا وأصول مثلما صالوا[12] فأنشأ في الرد على السؤال قصيدة كبيرة تزيد على مائتي وخمسين بيتاً، وشرح القصيدة شرحاً وافياً بالغرض، وجمع هذه الأعمال في كتاب سماه "سلك الدرر شرح تائية القضاء والقدر، ولذلك نرى أن شعره في هذه القصيدة يغلب عليه الطابع العلمي لأنه يسرد حقائق علمية بحتة، وسوف نسوق نماذج من أشعاره.

وقال في رثاء الشيخ مُحَمَّد أنور شاه الكشميري:

سلام على حفظ الكتاب وسنة		وحفظ وضبط بعد شيخ مبجل
أريد به نور الهداية أنوراً		كبدر مبين في جدى الليل أليل
فقد كان إعجازاً لدين نبينا		كمثل البخاري أو كنحو ابن حنبل

وكان إماماً حافظاً ومحدثا		إليه انتهى شدّ المطايا وأرحل
وقد كان فرداً حافظ العصر جامعاً		معارف أعلام الهدى والتفضل
بكى عالم الإسلام طراً وأعولا		لخطب جليل قد أناخ بمنزل
بكاه مقام الدرس والوعظ حاسرا		بكته نواحي الأرض والفلك العلى
فقد كان رمحاً سمهرياً مثقفا		لمثل مسيح القاديان المخبل
وأبيض هندياً لكل مسيلم		وكل مناغ في نبوة مرسل
توفيت يا رأس التقى وتركتني		لفقدك أروية بدمع مسلسل
شرحت لنا الآثار إذهي أشكلت		وفسرت آيات الكتاب المفصل
وعطر أفق الأرض من عرفك الشذي		يباري شذاه روح مسك وصندل
عليك سلام الله يا قبر أنور		ورحمته تترى كودق مجلجل
بفضلك يا مولى الورى قل لروحه		أيا روح عبدي هذه الجنة أدخلي[13]

مرثية حكيم الأمة الشيخ التهانوي رحمه الله [الطويل]:

لقد قُبضت روح العلى والمكارم		بموت حكيم الهند أشرف عالم
وقد قبضت روح الفضائل والهدى		بموت إمام الهند رأس الأكارم
تقي نقي عالم أي عالم		وموتته والله موتة عالم
وكان جنيد الوقت نعمان عصره		وفي البحث كالرّازي عند التخاصم
وكان خطيباً مصقعاً أي مصقع		مواعظه مشهورة في العوالم
لقد جمع العلمين ظهراً وبطنه		لقد مرج البحرين منه لشائم
وقد كان في التفسير آية ربه		همى علمه مثل الحيا المتراكم
وأوحى علوم الدين مدة عمره		وما خاف في مولاه لومة لآئم
تصانيفه سارت بشرق ومغرب		وقد بلغت ألفاً فهل من مساهم
وصنفها لله يبغي بها الرضى		وما باع تضيفاً له بالدراهم
بكته بلاد الهند حقاً جميعها		وقد بُدّلت أعراسها بالمآتم
وحق على الإسلام والعلم والتقى		لفقدك تذارف الدموع السواجم

تزعزع بنيان الشريعة والتقى		وصار بناء الدين واهي الدعائم
وقد مال طود الفضل من بعد مارسى		وقد غاص بحر العلم بعد التلاطم
وقد كوّرت شمس المعارف والتقى		وقد صار بدر العلم تحت الغمائم
ومن لم يشاهد موت علم وحكمة		ألا فليشاهد هكذا غير حالم
فمن للفتاوى والمعارف بعده		وتلقين أذكار وإيقاظ نائم
فقد ناك من شآء بعد فليمت		فرزءك رزء جلّ عن وهم واهم
ولم يبق للعينين بعدك مدمحاً		وصغّر لي كل الرزايا العظائم
فقد ناك مثل الأرض تفقد وبلها		وكيف حياة الأرض من دون ساجم
كفاني حزناً أن تخلّفت بعده		أبكي مع الباكين مثل الحمائم
عفاء على الدنيا إذا غاب نورها		وغارت عيون العلم تحت السهائم
وفينا عزاء والملائك تفشد		على الطائر الميمون يا خير قادم
وقد جدّد الأحزان رزء وفاته		وجدّ لي رسم الجروح الطواسم
وذكرني رزء الخليل وأنور		ورزء عزيز قائم الليل صائم
ولا غرو في هذا فكان مجدداً		لملة خير الناس من آل هاشم
وجدّد رسم الدين بعد دروسه		وكان إماماً للورى لم يزاحم
فيالمصاب قد أعاد مصائبا		رُزئنا بها في عهدنا المتقادم
ولو قبل الموت الفداء لكنته		وعادت حياة العلم عيشة ناعم
وأيتمت أهل العلم يا علم الهدى		فمن ذا الذي ندعوا لرغم المخاصم
عليك سلام الله يا قبر أشرف		ورحمته تترى كجود الغمائم
وبوّأك الرحمن خير مبوّء		وأرضاك ربّ العرش أرحم راحم
وأهديك يا نجم الهدى أحسن الدعا		وتسليم مشتاق الفؤاد وهائم
جزاك إله العرش خير جزائه		فقد كنت للإسلام أحسن خادم[14]

ونجد في شعره المحاسن الأدبية كثيرة، ومنها الألفاظ السهلة والإيجاز والاختصار وكثرة المعاني والمفاهيم والمصطلحات النحوية والخيال والقوافي المتنوعة. والأساليب القديمة والإشارات التاريخية والبلاغية مثل التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك.

وخلاصة القول، كان الشيخ مُحَمَّد إدريس الكاندهلوي شاعراً عظيماً وأديباً فريداً ومؤرخاً كبيراً ومفكراً نابغاً. وقد نال منزلة كبيرة بين الشعراء والأدباء العربية في شبه القارة الهندية والباكستانية. وله قدرة فائقة في نظم الشعر. لا نجد نظير له بين الشعراء والأدباء في شبه القارة الهندية والباكستانية.

الهوامش والمصادر

1. السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. (تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: 1421هـ /2000م، ص37.

2. الندوي، سليمان (السيد). اتصال العرب والهند. حيدر آباد دكن: دائرة المعارف العثمانية، بدون التاريخ، ص50.

3. النسائي، أحمد بن شعيب، أبو عبدالرحمن. السنن النسائي. دهلي: المطبع المجتبائي، 1376هـ، كتاب الجهاد، ج2،ص63.

4. عبدالله، مُحَمَّد جمال الدين (الدكتور). التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان. القاهرة، مصر: مصطفى البابي الحلبي، 1990م، ص 137-146.

5. عبدالله، محمود مُحَمَّد. اللغة العربية في باكستان دراسةً وتاريخاً. الطبعة الأولى، باكستان: وزارة التعليم الفيدرالية، شعبان 1404هـ/مايو 1974م، ص 252-253.

6. المرجع السابق، ص 448.

7. أحمد إدريس (الدكتور). الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى نهاية القرن العشرين. ص 386.

8. همداني: حامد أشرف (الدكتور). الشعر العربي في باكستان. رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، لاهور، 2007م، ص 221-231.

9. عبد الله، محمود مُحَمَّد. اللغة العربية في باكستان. ص 448؛

10. وقريشي، مُحَمَّد إسحاق (الدكتور). شعر المديح في شبه القارة الهندية الباكستانية. ص 898.

11. عبد الله، محمود مُحَمَّد. اللغة العربية في باكستان. ص 449؛ وفيوض الرحمن (الدكتور). مشاهير علماء ديو بند. ص 436-461.

12- صديقي، مُحَمَّد مياں. تذكرة الشيخ مُحَمَّد إدريس الكاندهلوي. الطبعة الأولى، لاهور: مكتبة عثمانية، 1977م، ص 29.

13- همداني: حامد أشرف (الدكتور). الشعر العربي في باكستان. رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، لاهور، 2007م، ص 221-231.

13. الكاندهلوي، مُحَمَّد إدريس. سلك الدرر شرح نائبة القضاء والقدر. لاهور: بدون التاريخ، ص 2.

14. البنوري، مُحَمَّد يوسف. نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور. كراتشي: المجلس العلمي، 1969م، ص 249.

15. فيوض الرحمن (الدكتور). مولانا أشرف علي التهانوي رحمه الله وخلفاؤه. كراتشي: مجلش نشريات، 1997م، ص 40-43.